واقع استخدام اللغة العربية في وسائل الإعلام الأفريقية ومستقبله

د. طارق ميرغني محمود (★)

أولاً مقدمة:

تضطلع حواسنا كلها بمهمات اتصالية مع بيئاتنا، في حين تعطي اللغة لعملية الاتصال بعداً آخر ، وتثريه ثراءً عظيماً، خصوصاً وأن الاتصال هو النشاط الإنساني الأساس للإنسان، ومعظم ما نقوم به في حياتنا اليومية إن هو إلا مظاهر مختلفة لما نعنيه بالاتصال الذي يحدد بدوره معالم الشخصية الإنسانية من خلال ممارساتها الاتصالية. [1]

وقد مرّ الاتصال الإنساني بمراحل شهد خلالها تطورات بارزة انتقلت معه العملية الاتصالية من الإشارات البسيطة إلى التقنيات الكبيرة ، والتي يعبر عنها عالم الاتصال (مارشال ماكلوهان) (بأنها تقنياتٌ تمثل امتدادات لأجهزتنا العضوية وجهازنا العصبي ، وهي موجهة للرفع من قوة وسرعة تلك الأجهزة)[2].

وتعتبر اللغة من أقدم الظواهر الاجتماعية ، حيث تقوم بعملية الاتصال في المجتمع ، من خلال التعبير عن الأفكار بوساطة الأصوات الكلامية المؤتلفة في كلمات. وكما يرى (إدوارد سابير) (فإن اللغة وسيلة إنسانية خالصة ، وعبر غريزية لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية)[3]

واللغة كما يذهب بعض العلماء تقدم ثلاث وظائف رئيسة تتمثل في كون :

1- أنها وسيلة للتواصل.

2- أنها عون آلي للتفكير.

(★) أستاذ مساعد بكلية الدعوة والإعلام بالجامعة .

([1]) عبد العزيز شرف: **المدخل إلى وسائل الإعلام** ، (دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م) ص 16.

([2]) مارشال ماكلوهان : كيف نفهم وسائل الاتصال ، ترجمة : خليل صابات ،(القاهرة ، بدون دار نشر ، ب ـ ت) ص 43.

([3]) زيدان عبد الباقي : وسائل وأساليب الاتصال في المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية ،(مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، 1974م) ص 49.

3- أنها وسيلة للتوثيق وللرجوع إلى ما سُجِل.

إن تطور اللغة هو الذي جعل الاتصال الإنساني قوياً على نحو خاص، وهو تطور من حيث الاتساع والعمق المحتملان اللذان أطفاهما على مضمون الاتصال ، وكذلك بالنسبة إلى ما كفله من دقة وتفصيل في التعبير.

والواقع أنه لا توجد حدود لتنوع وبراعة أساليب الاتصال التي استخدمها البشر ، فقد تطورت أشكال الاتصال ، ومحتوياته ووسائله المستخدمة ، كما تنوعت باستمرار ، وقد ظهرت لغات مختلفة نتيجة لعدم وجود صلات بين شعوب المناطق المتباعدة. ولكنها ظهرت بصفة خاصة لأن المجتمعات ذات التقاليد الثقافية والأخلاقية والاقتصادية المتمايزة ، احتاجت إلى مجموعة خاصة من المفردات اللغوية وإلى أنماط لغوية معينة.[1]

لكن اختلاف ألسنة الناس كما جاء في قول الله تعالى: ﴿ ﴾[2] يدل بقوة على أن الأمر مقرر في السماء لحكمة يعلمها الله ، في حين قام السياق التاريخي لكل لغة بدور مهم في بلورتها وتطورها .

وقد سعى الجنس البشري من خلال التاريخ إلى تحسين القدرة على تلقي واستيعاب المعلومات عن البيئة المحيطة به، كما سعى في الوقت نفسه إلى زيادة سرعة ووضوح وتنوع أساليب الأفراد في بث المعلومات.[3]

وتضفي الكتابة صفة الدوام على الكلمة المنطوقة ، وفي قديم الزمان تم تسجيل القوانين والقواعد الخاصة بطقوس الاحتفالات والشعائر التي صممت لتعبر عن الجماعة وتكفل استمراريتها، على ألواح من الصلصال ، أو على أحجار منحوتة ، أو في لفائف الرق.

التي تعمر طويلاً، وقد كان لتطور الكتابة فضلٌ في الحفاظ على أهم الرسائل

([1]) المرجع السابق :ص 23.

([2]) سورة الروم :الآية 22.

([3]) شون ماكبرايت وآخرون: مرجع سابق ، ص 28.

المحملة بالرموز.[1]

وقد تستخدم اللغة للتعبير عن المعارف والأحداث بدقة ووضوح باعتبارها أداة معرفية، تستخدم في الرياضيات والعلوم الهندسية والتطبيقية ، وقد تستخدم لإثارة العواطف والانفعالات في نفوس الناس ، أو في الشخص ذاته عندما يعيش في عالم أحلام اليقظة ، لا سيما في الأوقات التي يكلم فيها نفسه ،وفي تلك الحالة يلجأ الشخص إلى الرموز ، وهذه الرموز إما أن تكون معرفية تؤدي إلى معلومات أو غير معرفية تؤدي إلى انفعالات قد تكون غامضة وأوهاماً.[2]

وتكتسب اللغة عبر وسائل الإعلام المسموع طابعاً خاصاً ، إذ إنها أساس لكل إنشاء وفن إعلامي ، وهذا الطابع الخاص كما يقول ماكلوهان : (لزم التوافق بين طبيعة المرسل الإعلامي والوسيلة الإعلامية ، وهذا لا يعني البتة عدم وجود خصائص مشتركة بين المرسلات الإعلامية المختلفة.[3]

لقد أصبحت اللغة المكتوبة والمنطوقة في عصر الثورة التعليمية والتقنية ،أبرز ملامح العصر الذي يسمى عصر الوسائط الجماهيرية الحديثة ، إذ إن اللغة هي التي تحدد للأفراد رؤيتهم للعالم وتجربتهم له ، كما تحدد موقفهم منه وأسلوب تعاملهم معه.

ثانياً: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث من أهمية تناول موضوع اللغة العربية في وسائل الإعلام في القارة الأفريقية المتنوعة الأعراق والأجناس واللغات ، حيث تتيح الفرصة لإبراز إشكالية الصراع حول عناصر الهوية حيث تشكل اللغة فيها مقوماً مهماً من مقومات البناء الأيدلوجي والفكري والديني والحضاري للأمم.

والبحث مهم لحاجة المجتمعات الأفريقية إلى وسائل إعلام تعبر بها عن هويتها وتماسكها ووحدتها وتبرز غناءها الثقافي والاجتماعي ، ويغير الصورة السلبية السائدة للإعلام الدولي تجاه هذه القارة من خلال توظيف إمكانات اللغة العربية واستغلال خصائصها وميزاتها في التعبير والتأثير باعتبارها لغة قديمة في أفريقيا.

ثالثاً: أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التالي:

1- التعرف على تاريخ اللغة العربية في أفريقيا وإنتشارها .

2- عرض الخصائص والميزات للغة العربية كلغة لوسائل الإعلام مقارنة

([1]) **المرجع السابق** : ص 28.

([2]) زيدان عبد الباقي : **مرجع سابق** ،ص 16.

([3]) مارشال ماكلوهان : **مرجع سابق** ،ص 49.

باللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية.

3- الوقوف على فاعلية استخدام اللغة العربية في وسائل الإعلام الأفريقية سيما المسموعة منها.

رابعاً : مشكلة البحث:

يمكن تصور المشكلة في أن الاستعمار في أفريقيا اتخذ عدة وسائل لاستلاب مجتمعاتها ثقافياً ،ومن أهم هذه الأساليب إقصاء اللغة العربية من وسائل الإعلام الأفريقية مما عمق من جراح القارة ، وأحدث تناقضاً وتضارباً وصراعاً في توجهاتها وخططها وتصوراتها ، فعجزت المجتمعات الأفريقية عن التعبير عن ثقافاتها وأصبحت لها صورة ذهنية سالبة بما صورتها وسائل الإعلام الغربية .

خامساً : تساؤلات البحث:

يحاول البحث الإجابة عن عدد من التساؤلات أهمها:

1- ما مدى أصالة اللغة العربية في أفريقيا والأثر العربي في الثقافة الأفريقية؟

2- ما هي الإمكانات والسمات التي تمتلكها اللغة العربية كلغة إعلامية للتعبير عن ثقافة المجتمعات ؟

3- ما أهمية استخدام اللغة العربية في وسائل الإعلام الأفريقية باعتبارها لغة أصيلة في القارة؟

سادساً : مصطلحات البحث:

اللغة هي:(نظام من الدلائل يعبر عما للإنسان من أفكار)[1]

الثقافة هى:(مجموعة المعارف الإنسانية والعلوم والعادات المكتسبة من لغة ودين تتمثله مجموعة من البشر فتؤثر في سلوكها بدرجات متفاوتة)[2]

الهوية:(هي القدر الثابت والجوهر المشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز أمة عن غيرها من الحضارات ، وتجعل للشخصية طابعاً تتميز به عن

([1])دي سوسير فرديناند : **دروس في الألسنة العامة** : ترجمة صلاح القومالي وآخرين، (الدار العربية للكتاب بيروت، 985م) ص 29.

([2])طلعت إبراهيم وأحمد بن محمد : **مدخل إلى علم الاجتماع** (دار المعارف، الرياض،987م)ص 27.

الشخصيات الأخرى)[1]

الإعلام :تزويد الجماهير بالحقائق المستمدة من عقيدة المجتمع بصورة مباشرة أو من خلال وسيلة إعلامية عامة ، بوساطة قائم بالاتصال لديه معرفة واسعة عميقة في موضوع الرسالة التي يتناولها ، وذلك بغية تكوين رأي عام يعي بالحقائق الدينية وترجمتها في سلوكه ومعاملاته.[2]

سابعاً : منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الاستكشافي للتعرف على طبيعة المشكلة، كما تم توظيف المنهج التاريخي لرصد بعض المنقولات التراثية المتعلقة بموضوع البحث ، هذا بجانب المنهج الوصفي لوصف المعلومات والحقائق وتصنيفها و تحليلها واستخلاص الدلائل منها.

ثامناً : أدوات جمع المعلومات:

اعتمدت هذه الدراسة على الأدوات التالية للحصول على المعلومات:

1ـ **البحث المكتبي** .

2ـ **المؤتمرات**

3ـ الإصدارات الدورية .

4ـ المصادر الإلكترونية.

تاسعاً : تقسيمات البحث:

لتحقيق أهداف البحث والإجابة عن تساؤلاته تم تقسيم البحث على النحو التالي:

المبحث الأول : اللغة العربية (السمات والميزات والخصائص) .

المبحث الثاني : أصالة اللغة العربية في أفريقيا والأثر العربي في اللغات الأفريقية.

المبحث الثالث: اللغة العربية في الإذاعة المسموعة.

([1]) محمد عمارة: الهوية الحضارية ، مجلة الهلال فبراير 1997م، ص 25.

([2]) محيي الدين عبدالحليم: **الإعلام الإسلامي** ـ الأصول والقواعد والأهداف ،(مؤسسة اقرأ الخيرية، القاهرة ،1992م) ص 54.

المبحث الرابع : **واقع** استخدام اللغة العربية في الإعلام الأفريقي ومستقبله.
هذا بجانب النتائج ، والتوصيات ، **والمصادر والمراجع**.

المبحث الأول
اللغة العربية (السمات والميزات والخصائص)

يعد علم اللغة الإعلامي أحد الفروع التطبيقية لعلم اللغويات الحديث من جهة ولعلم الإعلام ونظرياته من جهة أخرى،وهو ما يزال يتحسس طريقه إلى النور ، **ذلك أن (دراسة النفع العلمي) للغةٍ** ما بطريقة علمية منهجية تحتاج بالضرورة إلى مناهج لغوية إعلامية متكاملة وإطار نظري تستند إليه ، وأسلوب محدد تتوخاه في الوصف والتحليل ، وهي أطر وأساليب لم تستوف دراستها بعد.[1]

وعلم اللغة الإعلامي يرتكز على كل ما كانت تقول به علوم النفس والاجتماع ونظرية المعرفة عن قوة تأثير الكلمة ، ويتوافر من الناحية اللغوية **على البحث في قوة** الكلمة وسلطانها ، ومن الناحية الإعلامية على الخصائص الدقيقة التي تميز المستويات اللغوية في كل جنس إعلامي على حدة ، ووضع حدود دقيقة بين الاستعمالات الإعلامية الخاصة والدعائية الصارخة للغة.

واللغة بقدرتها هذه تستطيع أن تؤثر في الرأي العام [2]، وهذه النتيجة تحتم فهم طبيعة الرأي العام كركن أساس يساعد على كشف العلائق التي تقوم بين عناصره **المختلفة** .

إن اللغة تؤلف أهم عناصر الرأي العام الذي يسعى الإعلام بوسائله المختلفة إلى التأثير فيه .وإذا كانت العوامل التي تؤدي إلى تكوين الرأي العام كثيرة ومتشابكة ومتفاعلة مثل الثقافة والأحداث والاتصال الجماهيري والشخصي والشائعات ، فإن اللغة هي معامل الارتباط بين هذه العوامل جميعاً.

ويتجاوز ترابط وصلة الثقافة ومفردات اللغة إلى حد أن اللغة قد تتدخل في تحديد أنماط الفكر وتركيبه في المجتمع الذي تسود فيه سواء أدرك الناس ذلك أم لم يدركوه ، وهذا يجعل للغة أساساً ثقافياً أو حضارياً ، وبالتالي لا يمكن تحديد مفردات اللغة تحديداً دقيقاً إلا بمعرفة مظاهر الثقافة والقوى المادية والأدبية التي تشكل شخصية أية أمة.

([1])عبد العزيز شرف : اللغة الإعلامية ،(دار الجيل ، بيروت، ط1، 1991م) ص 6.
([2])إبراهيم إمام : **العلاقات العامة والمجتمع** ،(دار الفكر العربي، القاهرة ،1981م) ص137.

ولتناول موضوع استخدام اللغة العربية والتعرف على مدى تأثيرها في المتلقين من خلال ما تحمله من مضامين لابد أولاً من الوقوف عند سمات هذه اللغة والتي يشير فيها د. علي عبد الواحد وافي في كتابه (فقه اللغة) إلى أن اللغة العربية تتوافر على عاملين، لم يتوافرا لغيرها من اللغات السامية . لقد احتفظت العربية بأكبر قدر من مقومات اللسان السامي الأول ، وبقي فيها من تراث هذا اللسان ما تجردت منه أخواتها السامية ، فتميزت عنها بفضل ذلك خواص كثيرة يرجع أهمها إلى الآتي:

1- أنها أكثر أخواتها احتفاظاً بالأصوات السامية.
2- أنها أوسع أخواتها وأدقها في قواعد النحو والصرف.
3- أنها الأكثر ثروة في أصول الكلمات والمفردات.

اللغة العربية تتميز بغزارة مفرداتها ودقة في قواعدها ، وسمو ومرونة في أساليبها وثروة في آدابها وتراثها وقدرة الإبانة عن مختلف نواحي التفكير والوجدان،ومن تلكم السمات :[1]

1ـ إن في اللغة العربية من المقومات والدقة الصادقة والأساس ما يخولها لأن تكون قادرة على أخذ مكانها الصحيح في هذا العصر.

2- الألفاظ العربية هي أوزان موسيقية والكلمات ذات الوزن الموسيقي الواحد لها دلالة معنوية محددة.

3ـ اللغة العربية هي اللغة الحية الوحيدة في العالم التي بقيت دون تغيير في كلماتها ونحوها وتراكيبها.

4- في اللغة العربية من القواعد الرصينة والأساليب البلاغية ما يضبط الدلالة على المعاني الكثيرة المعتادة.

5- معظم مشتقات اللغة تقبل التصريف إلا فيما ندر منها، وهذا ما يجعلها في طوع أهلها أكثر من غيرها ويجعلها أكثر تلبية لحاجة المتكلمين.

([1]) نور الدين بليبل : الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام،(سلسلة كتاب الأمة رقم 84،إصدارة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ’قطر،1422هـ)ص 54.

إن أهم ما يميز العربية استعمالها الدقيق للفظ، حتى أن هذه الدقة في الاستعمال اللغوي قد عنيت به كثير من كتب اللغة قديماً ، فأسست بذلك منهجاً في الدرس اللغوي [1] . ومن ضروب الدقة ما يظهر في اقتران الألفاظ بعضها ببعض ، فقد خصص العرب ألفاظاً لألفاظ ، وقرنوا كلمات بأخرى ولم يقرنوها بغيرها ولو كان المعنى واحداً . يقول د. علي عبد الواحد في مؤلفه(فقه اللغة) : (إن دقة التعبير والتخصيص سبيل من سبل التفكير العلمي الواضح المحدد تحتاج إليه كل أمة في تربية أبنائها على التفكير الواضح الدقيق الذي يقدمهم للعمل والبحث العلمي . والأدلة إلى ما ذهب إليه الباحث كثيرة :كإعجاز القرآن الكريم البياني الذي نزل بالعربية والتحدي للإتيان بمثله ، وهو نوع من التحريض العقلي والثقافي لإدراك أبعاد هذا الإعجاز والتدليل على قدر العربية على أن تتشكل منها معجزة . كما أنه يشير من جانب آخر إلى الطاقات الهائلة والمخزون الضخم الذي تمتلكه العربية التي وسعت القرآن الكريم بكل آفاقه وأبعاده ، ضمن إطار أبجدياتها ومرونتها وسعة مفرداتها وكثرة مترادفاتها لتعبر عن أدق الحالات الشعورية المتداخلة والمتجاورة ، وقدرتها على تقديم القيم التعبيرية لكل أحاسيس الإنسان وقيمه الشعورية ، ولعل سبب نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين واعتماده العربية لم يقم وزناً لقضايا اللون والجنس والقوم ، لكنه لم يتنازل عن قضية اللغة وحسبنا أن نقول : بأن قضايا اللون والجنس والقوم هي أمور قسرية ليست من صنع الإنسان ، كما أنها ليست من اختياره ومن الظلم الكبير اعتمادها سبيلاً للكرامة وميزاناً للتمييز، إن أمر اللغة أمر كسبي تعليمي وتعلمي بمقدور كل إنسان أن يحصله . وقد لا تكون هذه القضية بحاجة إلى تدليل ، فاللغة في مراحلها البدائية الأولى وحتى صورها الذهنية المجردة المتقدمة هي كسبية

([1]) أنظر المرجع نفسه : ص 55.

تعلمية ، إضافة إلى أن غير العرب استطاعوا أن يتعلموا العربية ويبدعوا ويؤلفوا فيها ويبلغوا الذروة ، فالكثير من محتويات المكتبة الإسلامية واللغوية منها بشكل أخص ، هي من إنتاج غير العرب ... الأمر الذي يؤكد أن الخطاب القرآني للعالمين الذي جاء بالعربية استوعبه المخاطبون على اختلاف لغاتهم ولم يشكل لهم أية عقبة.[1]

ولما للغة في بناء الأمة وصناعة وجدانها وبناء ذاكرتها وتكوين هويتها وثقافتها ، وضمان تماسكها وتواصل أجيالها ، وتغيير واقعها هي التي تحمي الأمة وتحافظ على شخصيتها مما هو قادم عبر مداخل الغزو الفكري ، والارتهان الثقافي .لذلك فقد تنبه لأمر اللغة الكثير من الدول في إطار مواجهة فرنسا مثلاً لغزو اللغة الإنجليزية وشيوع لغة الاستهلاك والإغراء بالعبارات والأنماط والتسميات الأمريكية وحرصاً منها على هويتها وثقافتها أصدرت عام 1994م قانوناً باسم (لزوم الفرنسية) يحظر على الفرنسيين استخدام أي لغة أجنبية في خطابهم العام ، مشيراً إلى الوثائق كافة والمستندات والإعلانات المسموعة والمرئية والأفلام الدعائية التي تبث من خلال وسائل الإعلام المختلفة والمحال التجارية والشركات العاملة على الأرض الفرنسية... ونص القانون على عقوبة مغلظة ، والسبب في ذلك كما تقول ديباجة القانون أن اللغة الفرنسية فيها من الألفاظ والمعاني ما يغني عن استخدام لغات أجنبية في الخطاب العام . ولكن إلى أي مدى يستطيع هذا القانون الصمود في عصر العولمة والهيمنة وإلغاء الخصوصية الثقافية التي تمثلها اللغة أدق تمثيل؟

إن الكتابة العربية لها القدرة على الصمود لما لها من مكونات وميزات قوية تحميها كما فصلها أ.د.طالب عبد الرحمن وهي:

(1- إن الكتابة العربية (كتابة فونيمية) والفونيم هو: الصوت الذي يؤدي استبداله بصوت آخر إلى تغيير في المعنى ، شريطة بقاء البيئة الصوتية .أي الأصوات السابقة واللاحقة للصوت المعني ثابت مثل: (صالح) و(طالح) فالصاد والطاء فونيمان متصلان في العربية.

إذاً الفونيمات هي الأصوات الرئيسة ، والمهمة في اللغة ، وهي القادرة على تغيير المعنى، والمعنى هو: جوهر النشاط اللغوي .والمتأمل للكتابة العربية يجد أنها قد وضعت لكل فونيم عربي حرف يدل عليه ولم تهمل الفونيمات الطويلة (الألف والوا

([1]) طالب عبدالرحمن : نحو تقويم جديد للكتابة العربية ،(سلسلة كتاب الأمة رقم 69،إصدارة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،قطر،1420هـ)ص 20-21.

والياء) ولا الفونيمات القصيرة(الفتحة والضمة والكسرة) ، فالكلمة العربية المحركة كافية وحدها لإرشاد القارئ إلى كيفية نطقها حتى وإن لم يكن سمع بها من قبل ومن غير الاستعانة بوسيلة أخرى .فالكتابة العربية مكتفية ذاتياً بعلاقة كتابتها بأصواتها.

2- لا يعبر الحرف المكتوب في العربية إلا عن الصوت نفسه في الأحوال كلها فأينما نجد الرمز(ت) فلن يحتمل تفسير صوتياً غير تفسيره بفونيم التاء.

3- لا يكتب الفونيم الواحد في العربية إلا برمز واحد أو رموز محددة سلفاً وقليلة العدد تتراوح ما بين (1-4) أشكال وهي عموماً متقاربة فالتاء مثلا في :ترك - ويترك - ونبت - وبك.

4- لا تختلف الكتابة تبعاً للطائفة في حين نجد لغة كالسريانية تستخدم ثلاث كتابات (الشرقية والغربية والخط الإسطرانجيلي).

5- تخلو الكتابة العربية عموماً من شواذ الكلمات باستثناء كلمات قليلة جداً ينحصر معظمها في الأعلام مثل (عمرو ، داؤد،...).

6- تخلو الكتابة العربية من ظاهرة الحروف التي تكتب ولا تقرأ (الحروف الصامتة) إلا بقواعد وضوابط معروفة سلفاً مثل كلمة (قاتلوا).

7- حافظت اللغة العربية بفضل القرآن الكريم على أرفع درجات ثبات في القيمة الصوتية لأصواتها ومن ثم ثبات القيمة الصوتية لحروفها.

- نواقص في اللغتين الإنجليزية والفرنسية :

على النقيض مما ذكر يلاحظ عدة إشكالات محيطة باللغتين الإنجليزية والفرنسية وتحف بهما معايب ، ففي الفرنسية نجد كثيراً من الكلمات التي تنطق أصواتاً قد يصل عددها إلى نصف عدد حروف الكلمة مثل: Baut – par leure ، وكلمة oparloe;r تنطق أوبا غليغ وكلمةbeaucoup تنطق بك boku .

ومثال آخر وهو أن الكلمات lait حليب و lesحرف تعريف للجمع و les الإرث كلها تنطق لي (بإمالة الياء) بالرغم من اختلافاتها في الرسم والمعنى ، وإذا جاءت بعد تلك الكلمات كلمة تبدأ (بصامت) . وهذا كله من غير ضوابط أو قواعد يسترشد به الكاتب لمعرفة كيفية رسمه للكلمات.

ومن يطلع على الإنجليزية ويوازينها بالفرنسية فسيجد الأولى أيسر ، لا في نحوها فحسب بل في نظامها الكتابي حيث يعد أكثر انضباطاً من قواعد الرسم في الفرنسية . ويلاحظ أن الصوت الواحد في اللغة الإنجليزية قد يكتب بأكثر من طريقة .

وتختلف الأصوات في عدد الطرق التي يمكن أن تكتب بها ، ففي حين نجد

صوت (الثاء) في الإنجليزية لا يكتب إلا بطريقة واحدة وهي(the) **نجد صوتاً آخر** وهو الشوا (schwa) يكتب بثمان وعشرين طريقة . فالاحتمالات المستخدمة لكتابة الشين في الإنجليزية متعددة(sh) (ch) ... ولا توجد قاعدة في الإنجليزية لترشد الكاتب إلى ضرورة اختيار أحد الاحتمالات دون غيره، فمدار الأمر كله هو الكلمة نفسها . وإذا ما تعرضنا لمجموعة من الأشكال التي يكتب بها صوت الشين مثل : ocean-fishing – sure يتبين مدى هشاشة العلاقة بين الصوت وشكل كتابته.

وعلاوة على ما سلف هنالك ظاهرة الحروف التي لا تكتب ولا تقرأ مثل : know – often –wrong، فالحروف السابقة الذكر حروف صامتة لا يخضع معظمها لأي ضابط. بالإضافة إلى ذلك قد يستخدم حرفان للتعبير عن صوت واحد **مثل**ph **للدلالة على صوت الفاء ، و** th للدلالة على صوتين هما : **التاء أو الذال وقد** يكرر الحرف للدلالة على صوت واحد مثل : Happy – nappy وقد يكتب الصوت الواحد بحرفين منفصلين مثل : code- bite وكانت النتائج الكثيرة لهذه الفوضى **في** النظام الكتابي الإنجليزي ، علاوة على صعوبة التنبؤ بكيفية تهجي الكلمة أو نطقها ووجود الكثير من الكلمات المتماثلة نطقاً ، المختلفة كتابة مثل: (for - four) (boy – buoy) .

وأخيراً من نواقص هذه اللغات أن مستخدميها لا يستطيعون قراءتها قراءة صحيحة ما لم يكونوا قد سمعوها من قبل ، ولهذا فغالباً ما يستعين الشخص بالكتابة الصوتية (فونيميا) . وإذا كانت العربية مكتفية ذاتياً بعلاقة كتابة أصواتها ، فإن الفرنسية لا تسند على أي قدر من الانضباط عند قراءتها ، والقارئ لها يستند إلى ذاكرته لا إلى القواعد.

ومماسلف نخلص إلى أن اللغة العربية في نطقها وكتابتها متفوقة على لغات العالم الحية ، وهي _ بناء على ذلك _ أفضل كتابة في العالم وفق لميزاتها وسماتها.وقد حملت هذه اللغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وملايين الملايين من الصفحات المسطرة في ميادين العلم المتنوعة مما يزيدها تفوقاً وفضلاً على لغات أخرى قد تضارعها في القدم (كالعبرية) **ولكن لا تمتلك الثقل الحضاري المعرفي الذي**

حظيت به اللغة والكتابة العربية .[1]

المبحث الثاني
أصالة اللغة العربية في أفريقيا وأثرها في اللغات الأفريقية

الوجود العربي في أفريقيا قديم وعميق الجذور ، وله أثر كبير في لغات أفريقيا وثقافتها .وهناك من الأدلة الكثير على قدم وأصالة العربية في أفريقيا ، فقد عرفت في بعض أجزائها الشمالية والشرقية قبل الإسلام بسبب المجاورة والقوافل التجارية ، التي كانت تنطلق في شمال الجزيرة العربية إلى شمال وغرب أفريقيا عبر اليابس قبل حفر قناة السويس ، كما كان للعربية وجود في السواحل الشرقية لأفريقيا بسبب الملاحة التي كان يمارسها العرب في المحيط الهندي وخليج عدن ، كما كانت الظروف السياسية في الجزيرة العربية تلفظ بعض مجموعات من العرب إلى شرق أفريقيا إثر النزاعات التي كانت تنشب بين بعض الجماعات ، وكل ذلك مما كان قائماً وسائداً قبل الإسلام لسنوات بعيدة بل الأمر أبعد من ذلك ، إذ يرى بعض علماء اللغة أن الموطن الأول للغة السامية، أم اللغة العربية هو أفريقيا ، وأن اللغات السامية من عربية وعبرية وآرامية وغيرها قد انتقلت من أفريقيا إلى الجزيرة العربية عن طريق باب المندب).[2]

ومهما يكن من وجود للغة العربية في القارة الأفريقية لأزمان قديمة وبصورة متناثرة هنا وهناك ، فإن الوجود الواسع ذا الأثر الكبير في اللغات والثقافات الأفريقية قد تشكل تماماً بعد الانتشار الواسع للإسلام في الفترة من القرن الثالث عشر إلى القرن التاسع عشر الميلاديين . فقد انداحت جموع المسلمين على شمال أفريقيا وغربها وشرقها ، ناشرة الإسلام بين سكان أفريقيا في إلفة وأمن عظيمين ، وبذلك قامت الممالك والسلطنات العربية الإسلامية في شتى أجزاء أفريقيا ، فهنالك المماليك والمرابطون ، وممالك غانا ومالي وبرنو وغيرها . فأنشئت الخلاوى القرآنية والمساجد والزوايا والمعاهد الدينية لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابة ، ثم قامت مؤسسات عربية إسلامية كبرى في كل من الأزهر والزيتونة وغيرهما ، بل ظهرت مراكز عربية إسلامية نشطة منها تمبكتو وجني وجاوا . ويؤكد (توماس أرنولد) سريان اللغة العربية في أجزاء واسعة من القارة الأفريقية قائلاً :(غدت اللغة

([1])انظر المرجع السابق : ص 94ـ 104.

([2]) يوسف الخليفة أبو بكر : اللغة العربية في أفريقيا ، في كتاب (اللغات في أفريقيا) مقدمة تاريخية ، يوسف الخليفة وآخرون، (دار جامعة أفريقيا للطباعة،الخرطوم، 2006م) ص 85ـ 86.

العربية لغة للتخاطب والتدوين والمراسلات الرسمية للممالك الإسلامية في أنحاء شتى من القارة الأفريقية ، ويتحدث بها السلاطين من أبناء أفريقيا ، ثم انتهى الأمر إلى قيام سبع دول عربية في أفريقيا ، لغة سكانها الأولى هي اللغة العربية ، وهي كل من مصر ،وتونس ، وليبيا، والجزائر ، والمغرب ، وموريتانيا، والسودان.ومما يلفت النظر أن بعض هذه الدول تضم مجموعات مسيحية من الأقباط لغتها الأولى هي اللغة العربية ، كما هو الحال في مصر والسودان .[1]

يتضح من العرض السابق قدم العنصر العربي بلغته وثقافته في أفريقيا ، وكيف توسعت هذه اللغة وعمت شمال القارة وغربها وشمالها ، وبذلك أثرت الثقافة العربية في متحدثي اللغات الأفريقية في لغاتهم وثقافاتهم.

الأثر العربي في اللغات الأفريقية :

أما فيما يتعلق بالأثر العربي على اللغات الأفريقية ، فقد غزت العربية اللغات الأفريقية في وقت كانت فيه اللغة العربية ولا تزال لغة فوقية ، أي لغة متفوقة، على اللغات الأفريقية الوطنية كافة ، ذلك بتراث العربية ، فهي لغة حضارة وثقافة عالية في **الماضي والحاضر** [2] ، بما سطرته من آلاف المؤلفات من الكتب والرسائل والمخطوطات والمواثيق والعهود ، وتضمنت هذه اللغة حضارات الفرس والرومان ثم الحضارة الإسلامية بكل ما تحوي من جديد في اللفظ والتعبير والدلالة ، دخلت العربية بهذا الثقل على اللغات الأفريقية فكانت بمثابة المركز المغنطيسي الذي انجذبت نحوه اللغات الأفريقية فأثرت اللغة العربية فيها بمدها بأصوات وألفاظ ودلالات جديدة بل تراكيب لم تكن مألوفة من قبل في اللغات الأفريقية ، يقول أنور الجندي: (**توسعت** العربية وسيطرت بحكم أنها لغة الإسلام على عديد من اللغات الأفريقية :(الهوسا ، الماندنجو ، الوولوف، السواحيلية ، الصومالية ، ولغات النيجر ، والناكل في أثيوبيا

([1]) **بابكر** حسن محمد : الأثر العربي في اللغات والثقافات الأفريقية ،ورقة مقدمة لمؤتمر اللغة والثقافة في أفريقيا (**جامعة** القاهرة ،2008م)ص 68.

([2]) **المرجع السابق** : ص 72.

وأريتريا) وما بقي من هذه اللغات استعار الكثير من الألفاظ العربية وخاصة الألفاظ الخاصة بالشرائع والنظم الإسلامية)[1]

لقد اقترضت لغة الفولاني والهوسا واليوربا وغيرها من لغات أفريقيا أصوات ودلالات و ألفاظ كثيرة من العربية ، وتعدى أثرها على لغات شرق أفريقيا وشمالها وغربها ووسطها بل وجنوبها.

المبحث الثالث
اللغة العربية في الإذاعة المسموعة

يعرف معجم مصطلحات الإعلام الكتابة للإذاعة بأنها: (**الكتابة باللغة التي** يستعملها الناس عادة والتي تتميز بالإيجاز والوضوح، لإثارة اهتمام عامة الناس ، كما تكتب للحديث لا للقراءة)[2].

وكما يقول (أدوين واكين) في كتابه (**مقدمة إلى وسائل الاتصال**) : فإنه في حالة الراديو ، تحل الأذن محل العين ونرتد إلى الكلمة المنطوقة ، صحيح أن جميع العبارات المذاعة تقرأ من نصوص مكتوبة ولكنها معدة بحيث يصغي إليها الجمهور ، وليست معدة للقراءة، وإذ يتلقى المستمع الرسائل المذاعة ، فإنها لا تلبث أن تنقضي سريعاً وتزول بمجرد سماعها .**فالكلام المنطوق** – على نقيض الكلام المطبوع- **لابد** له من أداء مهمة الاتصال من اللحظة الأولى فالكلام حين يكتب ويدون يمكن قراءته ، وإعادة قراءته ، أما حين ينطق به فهو يتلاشى .

وتتميز لغة الإذاعة بالوضوح والاقتصاد والسلاسة حتى يمكن أن تصل إلى جمهور المستمعين في وضوح يساعد على الفهم والمشاركة في تتبع المضمون ... ومن جهة أخرى كان على هذه اللغة المذاعة أن تراعي من أصول الإلقاء الإذاعي تقدير القيمة الصوتية للألفاظ والتوثيق في استخدامها وفي معرفة وقعها الحقيقي على **الأذن** . وفي ذلك كله ما يتجه باللغة المذاعة إلى الاقتصاد والاقتصار على القدر

([1])**أنور الجندي** : العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي،الموسوعة الإسلامية العربية، ج4، (دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م) ص 373.

([2]) **أحمد زكي** : معجم مصطلحات الإعلام ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة ، بيروت، ط1، 1985م ص 187.

المطلوب لتحقيق الفهم والمشاركة .[1]

ويتمثل الأسلوب الإذاعي بالمقارنة مع البلاغة المكتوبة، في شخصية الإذاعي، في بنية جملته واختيار ألفاظه.في نبرات صوته. في إلقاءه والبشاشة التي تصدر كلمته وابتسامته عبر الميكرفون [2].

واللغة العربية من خلال سماتها وميزاتها نطقاً وكتابة كما ورد فيما سبق تعتبر من أهم اللغات العالمية ملائمة للأسلوب الإذاعي، يقول (بيثر ويليت) أحد رواد الأخبار الإذاعية (إن المستمع يستنجد بخياله الخاص لتصوير المنظر ، والمخبر الإذاعي الممتاز هو الذي يستطيع أن يصور المنظر بنفس الدقة والإتقان اللذين يلتزمهما المصور، فعلى المخبر الإذاعي أن يرسم بالكلمات صوراً حية ، ويحذف العبارات المبتذلة المستهلكة والكلمات الزائدة (الحشو) بهدف الوصول إلى أسلوب مقبول مصقول (سلس) . وإذا كان منوطاً بالإذاعة أن تزود وتجيء بالتعليمات والنصح لأولئك الذين يحتاجون المعونة فيما يتعلق بالزراعة أو تحسين الصحة أو تنمية المجتمع وتستطيع إيصال التعليم للأفراد والجماعات عن بعد ، وتستطيع الترفيه وتنشر الأخبار ، وتربي الشعب وتحسن ذوقه، وترفع مستواه،فإنها في موضع طليعي بقوة تأثيرها من خلال لغتها ، وتأسيساً على هذا الفهم فإن الإذاعة قد استطاعت أن تعمم اللغة المشتركة بين عامة المستمعين وأن تمنحها قدراً كبيراً من المرونة ولعل أهم ما جاءت به الإذاعة على اللغة جاء من ناحية الصوت وإبراز الخصائص الصوتية للغة الضاد ، ولأن كانت الصحافة قد دفعت باللغة المشتركة خطوات واسعة إلى الأمام على النحو المتقدم فإن الإذاعة وهي صحافة مسموعة ستكون عظيمة الأثر

([1]) عبد العزيز شرف: **المدخل إلى وسائل الإعلام، مرجع**سابق ، ص 417.

([2]) **رضا النجار** : مقومات الريبورتاج الصحفي والإذاعي،(مقال منشور بمجلة الدراسات الإعلامية،القاهرة، العدد28، يناير 982م ص27.

في زيادة الثروة اللغوية بين الشعب وفي توحيد نطق المفردات وفي التقريب بين اللهجات .

والسؤال الذي يواجه الإذاعة المسموعة هو: كيف تؤدي الرموز اللغوية معانيها المختلفة كاملة دقيقة بحيث ينتج عنها الاستجابات المطلوبة ؟ والإجابة هي : أنه إن كنا في دراساتنا للغة الصحفية نذهب إلى الاستعانة بعلم **الدلالة** (السيمياء) لفهم العلاقة بين الرموز والمعاني والقيم الدلالية للرموز ، وقدرتها للإبانة والتمويه والغموض ، فإن هذا العلم نفسه من أهم العلوم التي تساعد اللغة المنطوقة المذاعة على تحديد خصائص تيسر لها استجابة لدى المستقبلين ، على أن اللغة المذاعة تقتضي أن تدرس كذلك في ضوء علم الصوتيات للبحث في الأصوات ذات الوظيفة الدلالية كالسين والصاد في مثل: سير وصبر.

وقد أثبت علماء الصوتيات أن الأصوات اللغوية تنقسم إلى قسمين رئيسين هما: الأصوات الساكنة وأصوات اللين ، والأصوات الساكنة أقل وضوحاً إذا ما قورنت بالقسم الثاني ، وذلك أن أصوات اللين تسمع من مسافة قد تختفي عندها الأصوات الساكنة أو يخطأ في تمييزها ، ولهذا تتخذ الأسس الذي بنيت عليها التفرقة بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين أساساً صوتياً ، وهو نسبة وضوح الصوت في السمع ، وأصوات اللين في اللغة العربية ما اصطلح القدماء على تسميته بالحركات من فتحة وكسرة وضمة، وكذلك ما سموه بالألف اللينة وما عدا هذا فأصوات **ساكنة**.[1]

ومما تفيد فيه اللغة المذاعة في علم الصوتيات معرفة طول الصوت اللغوي سواء أكان صوتاً ليناً أم ساكناً . ونعني بطول الصوت الزمن الذي يستغرقه النطق

([1])عبد العزيز شرف: اللغة الإعلامية، مرجع سابق ، ص 241.

بهذا الصوت ، ويقدر عادة بجزء من الثانية ، ذلك أن لطول الصوت أهمية خاصة في النطق باللغة المذاعة نطقاً صحيحاً .وليس من الضروري أن يعرف المذيع مقدار الزمن الذي يستغرقه نطق كل صوت ليصح نطقه ، بل إن المران السمعي يكفي عادة في ضبط الطول دون حاجة إلى المقاييس الآلية . وتتطلب اللغة المذاعة تقسيم الكلام المتصل إلى مقاطع صوتية عليها تبنى في بعض الأحيان الأوزان الشعرية .ذلك أن الكلام المتصل يتكون من أصوات لغوية تختلف نسبة وضوحها السمعي.

واللغة العربية حين النطق بها تتميز فيه مجاميع المقاطع ، وتتكون كل مجموعة من عدة مقاطع ينضم بعضها إلى بعض ، وبذلك ينقسم الكلام العربي إلى تلك المجامع من المقاطع ، كل مجموعة هي في الحقيقة إحدى كلمات هذه الجملة.

1ـ صوت ساكن + صوت لين قصير .
2ـ صوت ساكن + صوت لين طويل.
3ـ صوت ساكن + صوت لين قصير+ صوت ساكن.
4ـ صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن.
5ـ صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان.

والأنواع الثلاثة الأولى هي الشائعة في اللغة العربية على أنه من الممكن الانتفاع بحقائق هذا العلم من الناحية العلمية إلى ما ينبغي أن تتجه إليه اللغة المذاعة من ناحية النطق. يمكن أن يقام على القواعد التي يكشفها علم الصوتيات بحوثاً فنية ترشدنا إلى تحقيق لغة مذاعة فعالة ومؤثرة، وإلى وضع قواعد وطرق لكتابتها وفي النهوض باللغة .وتحقق هذه البحوث نتائج لا بأس بها في تصحيح رسالة اللغة عند قراءة الأخبار وغيرها من المواد الإذاعية بحيث يراعى في اللغة تحقيق القواعد الخاصة بمخارج الحروف، ونطق الكلمات والوقوف والاستطراد والاستفهام وما إلى ذلك من فنون الإلقاء . فليس من شك في أن نبرات صوت المذيع وطريقة الإلقاء وحركات وسكنات المتكلم تعطي الألفاظ قوة في تحقيق المعنى الدلالي . وتأسيساً على ما تقدم نجد أنه يجب على اللغة المذاعة أن تتميز بهذه السمات:[1]

(1) انظر عبد العزيز شرف : اللغة الإعلامية ، مرجع سابق، ص 245ـ247.

أولاً- سمة القصر في الجمل والعبارات بحيث يسهل على المستمع التقاط الكلمة المذاعة والحصول على معناها الإجمالي . وأفضل الكتابة إعادة الكتابة حيث يمكننا تحسين بنيان المادة المذاعة .

ثانياً- تجنب الحشو اللفظي . وهي سمة مرتبطة بما تقدم ، لأن الحشو اللفظي من عناصر التشويش في استقبال الرسالة المسموعة ولذلك يجدر الابتعاد عن الجمل الاعتراضية وكذلك الإعراض في استخدام أسماء الموصول التي قد تعيق في استقبال الكلمة المذاعة.

ثالثاً- سمة الدلالة ، ذلك أن إدراك العلاقات الدلالية للألفاظ يساعد المحرر على جعل معنى مادته المذاعة واضحاً، وترتبط هذه السمة بسمة الإيجاز والتنظيم .إذاً فعلى معد اللغة المسموعة التمتع برؤيا خاصة في الدلالات والمفاهيم المتعلقة بكافة الشؤون الإنسانية .

رابعاً - سمة الإيناس عن طريق استعمال العبارات الواضحة الألفاظ ، المألوفة للمستمعين وتجنب الألفاظ المبهمة .

خامساً- استخدام المجاز في بعض الأحيان بحيث لا يكون غامضاً ويكون الهدف منه تمام المعنى.

سادساً- سمة التكرار ، ذلك أنه ليس في وسع المستمع أن يعود إلى مراجعة الكلام المنطوق ، كما أن للتكرار فائدة لغوية في تعميم المفردات وتثبيتها في أذهان المستمعين.

سابعا- أن التحرير للإذاعة يقتضي فهم الخصائص الصوتية للغة ومفرداتها بحيث يعاون المقدم على الهواء ، على تحقيق الوضوح والإيناس في إرساله ، فالمادة الإذاعية ذات الألفاظ الغريبة تحرر بوضوح مشكولة مع وضع علامات الترقيم بين

أجزاء الكلام لتمييزه وتوزيعه عند قراءته.

ثامناً - عند استخدام الأرقام في لغة الإذاعة يجدر أن تحول أرقام كاملة (بالتقريب) وتوضح بالحروف تجنباً لتشتت ذهن المستمع خلال النطق بالأرقام الكبيرة.

تاسعاً- يستحسن استخدام صيغ الفعل المضارع في لغة الإذاعة ، كما يفضل المبني للمعلوم على المبني للمجهول (إلا للضرورة القصوى).

عاشراً- اللغة التقريرية هي اللغة الإعلامية لتحقيق مطالب الوضوح الإعلامي ويعني ذلك في اللغة المذاعة أن الأفكار تحظى بتأثير عند نقلها صوتياً باستخدام اللغة التقريرية الأكثر مباشرة ، ولذلك ينبغي الابتعاد عن الإطناب والشرط غير السليم وصيغ الفعل المعقدة والابتعاد عن الجمل المطولة . والنشر المنمق الحافل بالمحسنات البيانية وافتقاد الدقة عند استعمال الكلمات والتأكيد الذي ليس في محله. وعلى ذلك فإن أسلوب التحرير الإذاعي يعتمد على استخدام اللغة بطريقة فعالة عن طريق البناء الفني للأشكال والفنون الإذاعية المختلفة.

الحادي عشر - إلى جانب ما تقدم فإن لغة الإذاعة هي فرع من فروع اللغة الإعلامية وفيها من الخصائص ما يقوم على التبسيط والنمذجة والتكرار وما يمكن أن نسميه باللغة التي تتوسل بجميع أساليب التعبير قادرة على الخروج من الحدود السياسية للدول مما يجعل العربية غير مستبعدة أن تنجح وتحل محل الكثير من اللغات أو اللهجات المحلية السائدة.

المبحث الرابع
واقع استخدام اللغة العربية في الإعلام الأفريقي ومستقبله

يتعدد حجم التناقضات والاختلافات في الدول الأفريقية ويتنوع في الدرجة والكثافة سواء أكانت هذه الاختلافات اختلافات إثنية، أم ثقافية أم لغوية ، أم دينية ، أم اقتصادية... فالتعددية الإثنية في كثير من دول القارات يصعب حتى أحياناً حصرها وتحديدها وهي تتداخل مع بعضها في مناطق سكانها وفي أنشطتها الاقتصادية ، أما

التعددية الثقافية فهي مرتبطة بالتعددية الإثنية حيث إن الأخيرة تعود بالأساس إلى الاختلافات الثقافية ، ويمكن وجود مجموعة من الأنماط الثقافية في أية دولة أفريقية ، إلى ذلك فهنالك التعددية اللغوية فبجانب اللغة العربية رصد اللغات الاستعمارية كالإنجليزية والفرنسية بالإضافة إلى اللغة المحلية التي قد تزيد عن المائة لغة في بعض الدول ويؤثر وجود لغة موحدة في التناسق المجتمعي والبروز الثقافي والحضاري ويبدو واضحاً أن الاختلافات بين المجتمعات الإثنية يعود إلى الاختلافات اللغوية.[1]

إن العرض الموجز السابق يعبر عن حجم التعدد والتنوع في القارة الأفريقية ، تنوع لا ينتهي في عالم الأشياء وحقائق الواقع المعيش يقابله تنوع لا ينتهي في عالم الأفكار والآراء ، فالواقع الراهن يموج بالعديد من الهياكل والتنوعات الاجتماعية والثقافية والدينية واللغوية، وثمة فوارق واضحة بين أفريقيا الناطقة بالعربية وأفريقيا جنوب الصحراء وحتى على نطاق أفريقيا غير العربية هنالك تمايزات بين مجموعة الدول الإنجلوفونية (الناطقة بالإنجليزية) والدول الفرانكفونية (الناطقة بالفرنسية)والدول اللوزفونية (الناطقة بالبرتغالية). كما تملك أفريقيا حوالي 33% من جملة اللغات الحية في العالم على الرغم من أن سكانها لا يتجاوزون بكثير عن نسبة 10% من سكان الأرض وتوجد بأفريقيا كافة الديانات السماوية بالإضافة على الديانات التقليدية . ولعل السياسات الاستعمارية الأوربية التي أدت إلى تقسيم القارة بين القوى الاستعمارية الكبرى في مؤتمر برلين 1884ـ 1885م يمثل نقطة فارقة في التطور السياسي والاجتماعي والثقافي الأفريقي فتغيرت الخارطة العرقية في المستعمرات الأفريقية وشهدت كثير من الدول نزاعات وحروب مدمرة نتاج الآثار السالبة التي مارستها قوى العولمة على التنظيمات السياسية والاقتصادية الأفريقية .[2]

ويمكن لدول أفريقيا وضع مجموعة من السياسات العامة والصيغ المختلفة لتجنب الصراعات والتوترات ، ويشمل ذلك وضع الصيغ السياسية والسياسة العسكرية والسياسات الاقتصادية إضافة إلى الصيغ الثقافية والسياسات التعليمية وبالتركيز على الأخيرتين فإن السياسات الثقافية التي ترمي إلى تجنب الصراعات العرقية تشمل السياسات التي تتعامل مع الممارسات الثقافية،والتعليم واللغة حيث اصطبغت المجتمعات الأفريقية بصبغة تغريبية تسعى لطمس هوية الأفارقة وتحويلهم

([1])انظر إبراهيم نصر الدين : الاندماج الوطني في أفريقيا ،نموذج نيجريا ،(مركز دراسات المستقبل الأفريقي، القاهرة، ط1، 997م) ص 15ـ17.

([2]) أنظر المرجع السابق : ص23

إلى إنجليز وفرنسيين من خلال استخدام اللغتين الإنجليزية والفرنسية في كثير من المجالات والميادين التي أخطرها الإعلام والتعليم ، ويؤكد ذلك ما سجله أحد الرؤساء الأفارقة(أحمد سيكوتوري) من شهادة بقوله: كان التعليم الذي قدم لنا يسعى أساساً لاستيعابنا ، والقضاء على شخصيتنا وصبغنا بالصبغة الغربية ... ذلك التعليم قدم لنا حضارتنا وثقافتنا ومفاهيمنا الاجتماعية والفلسفية باعتبارها مظاهر لحياة همجية وبدائية... وذلك لكي يخلقوا فينا كثيراً من العقد التي بنا لأن نصبح فرنسيين أكثر من الفرنسيين ، وهذا بدأ واضحاً في كثير من وسائل الإعلام الأفريقية حيث لم تعد وسائط لتعليم الأجيال وتنشئتهم على قيم الصدق والعدالة والاستقامة والسماحة والإتقان والوفاء وحب غيرهم والإيثار.

والشعور بهذه الأزمة ليس قاصراً على الكتاب المسلمين بل نطق به العديد من الغربيين حيث يقول (كي رزب) : غير أن البُلدان النامية لم يتح لها الوقت الكافي لكي تسأل بطريقة نقدية عن نمط التربية الأكثر مواءمة لاحتياجاتها التنموية ، فقد اكتفت بمواصلة النظام الذي غرسته السلطة الاستعمارية. حتى إذا بلغت الثمانينيات الميلادية كانت هذه الدول أشبه بمعرض تجاري دولي يحوي تشكيلة منوعة من النماذج والأيدلوجيا المستوردة من أوربا وأمريكا الشمالية . ويصف (إيندلي) الدول الأفريقية بأنها: تلتهم التربية الغربية بنهم لا يسهل الهضم المناسب الكفيل بضمان الرفاة الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع، كما يرى أن كثيراً من الجامعات الأفريقية خاملة ثقافياً تمثل طبقة من الأفارقة ذات طلاء إنجليزي أو فرنسي أو أمريكي [1]إن كل هذه المشكلات والقضايا التي نتجت عن التبعية السياسية والاقتصادية والفكرية التي مثل فيها الاعتماد على اللغة الأجنبية دوراً أساسياً باعتبارها لغة.

والتواصل لأفكار الآخر ، ومما هو معروف أن غداة استيلاء المستعمر على القارة حلَّ محل العربية لغة إنجليزية أو فرنسية وحاولوا بشتى الطرق القضاء على العربية سيما في التعليم ووسائل الإعلام فتشكلت معظم دول القارة من أفكار وثقافات المستعمر وثقافاته بوساطة لغته ، الأمر الذي جعل الشخصية الأفريقية اتكالية غير قادرة على الفكاك من عقدة الشعور الدائم بالنقص والإعجاب المستمر بالناطقين بتلك اللغات فانسلخت اللغة العربية عن أكثرهم من لغاتهم وعبر مؤسساتهم الإعلامية المسموعة والمرئية المقروءة وافتخروا بالانتساب للإنجليزية والفرنسية رغم ما بها من نواقص واضحة نطقاً وكتابة كما ذكر آنفاً، وكان لاستخدامها من خلال وسائل

([1]) مجلة مستقبليات : المجلد الثاني والعشرون، العدد الثاني1992م، ص 275-278 .

الإعلام الأفريقية ما لم يمكن من التعبير عن قضايا الأمة الأفريقية البكر التي تغيرت بوجود المستعمر ، ولم تكن المضامين الاتصالية موائمة مع احتياجات القارة وطبيعتها وهمومها.

ورغم تاريخ وسائل الإعلام في كثير من الدول الأفريقية إلا أنها لم تستطع إنتاج أجيال قادرة على انتشال القارة من حالتها الراهنة المتخلفة ، لكنها أحياناً عمقت جراحها ، ولم ترشد إلى استغلال خيراتها ، وشكلت أجيالاً تعاني أنواعاً من التناقض والتضارب والتصارع في توجهاتها وخططها وتصورها ، مما عطل الجهود وشلَّ الكثير منها بدلاً عن مساهمتها في حل مشكلات المجتمع وتعمقت الهوة الثقافية بين ما كان سائداً في القارة وما هو وافد استعماري جديد عليها. إن محاولة إقصاء اللغة العربية من وسائل الإعلام الأفريقية جزء من مخطط الاحتلال البريطاني الذي أدرك أهمية العربية لاسيما في شمال أفريقيا وسعى حثيثاً لاستبدال الحروف اللاتينية العربية في كتابة بعض اللغات المحلية (كالهوسا) و(الفلانية) ، كما بذلت الجهود لعلمنة الحياة وإقصاء الشريعة الإسلامية والاجتزاء منها فقط ما يتعلق بالأحوال الشخصية ، لذلك فالملاحظ والباحث لبعض مضامين وسائل الإعلام الأفريقية يجد أغلبها مفرغ من رسالة التوحيد وبها من البدع الشيطانية والعادات الوثنية، فتكونت ثقافة غربية مسيحية صرفة في كثير من دول القارة ، وطمست الهوية الإسلامية المحافظة ، وأحدثت خللاً في المعتقد وتخلفاً علمياً وثقافياً امتد إلى النظام التربوي على المستوى الأسري والمجتمعي ، إضافة إلى الانحلال الأخلاقي من خلال توظيف القوالب البرامجية والفنون الصحفية المختلفة، واستيراد البرامج الجاهزة باللغات الإنجليزية والفرنسية والمضمون الثقافي الغربي أو الأمريكي.

ولما كان من أهم مقومات بناء السياسة الإعلامية دراسة واقع المجتمع المستهدف والاتفاق في بعض ما يحتاجه المواطن الأفريقي من محتوى الرسالة الإعلامية ، فالبيئة الأفريقية لها طبيعتها وخصوصيتها حيث النظام القبلي السائد فيها ، وواقع المتحدثين العربية في كل بلد باعتبارهم أقلية أو أغلبية ومن حيث كون اللغة العربية لغة ثانية لدى المتعلمين ، ناهيك عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وهذه الظروف لها أثرها في بناء السياسة الإعلامية بل الإستراتيجية الإعلامية ، ومع تفاوت السياسات والخطط والبرامج الإعلامية ومؤسساتها ، إلا أنه لا

تكاد توجد سياسات وبرامج وخطط أعدت للبيئة الأفريقية بطبيعتها وخصائصها الثقافية واللغوية الأصلية فضلاً عن بيئة كل مجتمع دولة.

إن انحسار لاستخدام اللغة العربية في وسائل الإعلام الأفريقية يؤثر في كيفية تناول القضايا الخاصة بالقارة الأفريقية وطرق معالجتها وتحليلها والتعليق عليها وإدارتها بما يخدم شعوب القارة التي تعاني من الصراعات الإثنية والمشكلات الاقتصادية والتعقيدات السياسية .**باعتبار أن اللغة** العربية هي الأصل في القارة وقد حاربها المستعمر من خلال المناهج التعليمية والوسائل الاتصالية على مختلف مستوياتها مما جعل وسائل الإعلام عبر استخدام لغات أجنبية عاجزة عن عرض القضايا باللغة التي تستطيع إبراز المعاني وتوضيح الدلالات بأسلوب مميز ومؤثر **ومقنع.**

لقد أثرت الحرب على استخدام اللغة العربية في وسائل الإعلام الأفريقية على نشر الإسلام ومبادئه ، من خلال الموجات التغريبية التي قام بها الاحتلال لإيجاد أرضية قوية تخدم أغراضه ، وتمارس أدواره بعد رحيله ، وبالتالي انتشار اللغات **الأخرى** (الإنجليزية والفرنسية) **عبر** وسائل الإعلام الأفريقية لدعم نشر التنصير **بجانب الوسائل الأخرى .**

ولقد أسهم في توطين هذه القيم الوافدة المستغربة على شعوب القارة اللغة المسموعة ثم المكتوبة ، حيث كانت أداة التواصل الأكثر تأثيراً وإقناعا دون غيره من وسائل الإعلام الجماهيري الأخرى لقلة القنوات التلفازية أو ضعف وصول بثه ، كما أن ضعف المستوى التعليمي جعل غالبية شعوب المنطقة تتأثر بالإذاعة المسموعة أكثر من غيرها عبر الدراما والحوارات وحتى الأخبار لم تسلم من السقوط القيمي.

ولما كان للغة العربية من قوة تأثير -كما تمت الإشارة- فلابد من موجة عكسية جديدة توطد لهذه اللغة عبر الإذاعة المسموعة في أفريقيا بما يعيد لهذه الشعوب ثقافتها ويمنحها استقلالها الحقيقي . ولابد من تدابير علمية وعملية توفر لهذه الشعوب عوامل التقارب والتآلف والتكامل ، باعتبار الجغرافيا المشتركة والأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية المتقاربة واللغات المشتركة .

ويمكن للغة العربية أن تكون فاعلة إذا ما استخدمت في وسائل الإعلام الأفريقية من خلال الأخبار التي تتجنب الجمل الاعتراضية أو شبه الجملة في بداية الجملة ، وبالمقارنة الجاذبة وحشد العناصر الخمسة يمكن لهذه الأخبار إحداث **الأثر** السريع ، سيما إن كانت تحمل صفات الخبر من مصداقية ودقة وموضوعية ،إضافة للقيم الإخبارية التي تزيد من تأثير أهمية الخبر.

أما التعليقات فهي التي تجعل للأحداث المذاعة معنى ومغزى ، من خلال سرد الحجج المنطقية بإيجاز ، والدقة في توظيف اللغة أثناء كتابة النصوص الإذاعية والبساطة في التعبير وتوظيفها بشكل أخاذ يأبى سوء فهم الأحداث ، إلى غير ذلك من الموضوعات الإعلامية التي تنشر بوساطة الإذاعة.

وتتجلى الإيجابيات نتيجة استخدام اللغة العربية في الآثار على الجوانب السلوكية والنفسية والتربوية ، والنظرة إلى الأشياء ، ومن ذلك أن اللغة تؤثر في الشعب المتكلم بها تأثيراً كبيراً يمتد إلى تفكيره وإرادته وعواطفه وتصوره، وأن جميع تصرفاتها تصبح مشروطة بهذا التأثير وما تكيفت به[1].وتشير دراسات استشرافية إلى أن الألفية الجارية ستشهد اتساع نطاق تداول اللغات ، وأفول أخرى ، أو اندثارها ،

([1])نور الدين بليبل : **مرجع سابق، ص** 125.

وقد يقوم عامل الحرص على اللغات وترقيتها وزيادة الناطقين بها والمستخدمين لها دوراً بالغ الأهمية من أجل ضمان ديمومتها .ولما كانت اللغة من أهم مؤسسات كل أمة ، فإن اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم للناس جميعاً على مرّ الأزمان واختلاف البلدان ، هداية وإصلاحا ونوراً وقيماً وأخلاقاً جامعة وشاملة ، لابد من نشرها وسط شعوب القارة الأفريقية لأنها تعمل على توحيد الفكر والعاطفة والثقافة والتاريخ وهي داعمة المستقبل الواعد والمصير المشترك .ومما لا شك فيه أن الإعلام المعاصر سيما المسموع من أهم عوامل نشر اللغة وتطورها وخلق الذوق اللغوي ، حيث تمنحنا تصوراً حقيقياً لتطبيق الأشياء ، وحقيقة محيطنا، وتهدينا إلى أصوب القيم والسلوك ، من خلال مستوى اتصالي جماهيري ، فتحقق للإنسان ذاتيته الثقافية وتؤكد انتماءه إلى جماعة معينة من الناس ، بالإضافة إلى دورها في تحصيل المعرفة وإضافة مزيد من الفاعلية على عملية المشاركة لحل مشكلات الواقع الأفريقي وقضاياه، ورسم آمالها وتخطيط تطلعاتها المستقبلية.

نتائج البحث وتوصياته

بعد عرض سمات اللغة العربية وخصائصها ومدى قدرتها وتأثيرها من خلال استخدامها في الإعلام الأفريقي المسموع لاعتبارات كثيرة مشتركة ومتقاربة ، نضع بعض النتائج والتوصيات

أولاً -النتائج :

1- للغة المكتوبة المقروءة القدرة على التأثير في الرأي العام في كل زمان ومكان مما يحتم فهم طبيعة الرأي العام كركن أساس يساعد على كشف العلائق التي تقوم بين عناصره المختلفة .

2- تتميز اللغة العربية بغزارة مفرداتها ودقة في قواعدها ، وسمو ومرونة في أساليبها

وثروة في آدابها وتراثها وقدرة الإبانة عن مختلف نواحي التفكير والوجدان، مقارنة باللغات الحية الأخرى كالإنجليزية والفرنسية.

3- اللغة العربية لها القدرة في بناء الأمم وصناعة وجدانها وبناء ذاكرتها وتكوين هويتها وثقافتها ، وضمان تماسكها وتواصل أجيالها ، وتغيير واقعها وهي التي تحمي الأمة وتحافظ على شخصيتها مما هو قادم عبر مداخل الغزو الفكري والارتهان الثقافي .

4- أن الكتابة العربية لها القدرة على الصمود لما لها من مكونات وميزات قوية تحميها

5- هناك إشكالات عددا محيطة باللغتين الإنجليزية والفرنسية وتحف بهما معايب ، مما يتصل بالنطق أو الكتابة أو التعبير.

6- وفق المصادر والمراجع المعتبرة المتثبت من صحتها ودقتها، فإن الوجود العربي في أفريقيا قديم وعميق الجذور ، وله أثر كبير في لغات أفريقيا وثقافتها .وهناك من الأدلة الكثير على قدم العربية وأصالتها في أفريقيا .

7- إن اللغة العربية من خلال سماتها وميزاتها نطقاً وكتابة وفق ما ورد تعتبر من أهم اللغات العالمية ملاءمة للأسلوب الإذاعي.

8- هنالك ضعفٌ في المقررات الدراسية - على مستوياتها كافة - التي تهتم باللغة العربية مما يؤثر في اعتمادها كلغة أساس في وسائل الإعلام الأفريقية .

9- هنالك قيود وعقبات مالية وإدارية من بعض الدول الأفريقية تقيد تداول البرامج الإعلامية من خلال وسائل الاتصال الجماهيرية.

10- ما زالت الدول الأفريقية تعاني من تفشي الأمية ، وهذا من شأنه عدم دعم نشر اللغة العربية عبر الوسائل المختلفة كالإعلامية والتعليمية.

ثانياً- التوصيات :

1- إعادة النظر في القيود المالية والإدارية والعقبات الموضوعة والمقيدة لتداول البرامج الإعلامية من خلال اللغة العربية .

2- أن تعنى دول القارة باستخدام اللغة العربية لاسيما من خلال الإذاعة - لتفشي الأمية بين مجتمعاتها - كجزء لا ينفصل عن السياسة الإعلامية في كل قطر بما يدعم القيم العربية الإسلامية الأصيلة التي جاءت لعموم الناس والأزمان.

3- مجابهة اللهجات العامية المنتشرة في القارة الأفريقية من خلال وسائل الإعلام والمؤسسات التعليمية ، بما يؤدي إلى وحدة اللغة والفكر ، حيث إن صراع الفصيحة والعامية قد تحسمه على صعيد الإذاعة لغة الاتصال بالجماهير التي تخاطب المتعلم والأمي معاً،وتفي باحتياجات التحسين والمعاصرة.

4- ضرورة تجسيد أن العربية ثابت من الثوابت الأساس ويجب التحلي بروح الإخلاص والتفاني في خدمتها والدفاع عنها لتأكيد الذات والتصدي للعولمة التي أنهكت شعوب القارة وأفرغتها من مضمونها وقطعت أصولها.

5- عقد حلقات بحث بين المجالس العليا للغة العربية ، والمؤسسات الإعلامية ومعاهد ومراكزه التدريب الإعلامي ومراكزه ،لبحث سبل ترقية استخدام اللغة العربية في وسائل الإعلام الأفريقية.

6- إنتاج برامج إعلامية لتقدم من خلال وسائل الإعلام من أجل تعميم الأساليب السليمة ، وتجنب الأخطأ الشائعةفي لستخدام اللغة العربية.

7- إدراج مقررات اللغة العربية وعلم الدلالات في المناهج الدراسية بالمدارس والمعاهد ومراكز التدريب الإعلامي.

8- على كليات الإعلام ومعاهده تحقيق هذا المنهج في اللغة الإعلامية لتعميم الفصحى،

ودراسة العربية في ضوء المنهج الإعلامي دراسة تنطلق من قاعدة الارتباط القوي والمباشر بينهما، نحو منهج عام لدراسة اللغة العربية الإعلامية ، وقيامها بوظائفها، يرتكز على ثمار علوم اللغة وما توصلت إليه من نتائج تفيد في دراسة تأثير اللغة في الجماهير.

والله الهادي إلى سواء السبيل .